

مراجعة الأدبيات وصياغة الفرضيات

1-الدراسات السابقة

1-1-تعريف الدراسات السابقة

تشير الدراسات السابقة كما يرى محمد عبد الحميد إلى الدراسات التي درست نفس المجال الخاص للمشكلة التي يقوم الباحث بدراستها، بحيث تمثل بالنسبة للمشكلة المطروحة قاعدة معرفية أولية لها، وتمثل نتائج المشكلة المطروحة إضافة مباشرة إلى نتائج الدراسات السابقة. ولذلك تظهر أهميتها أكثر في تطوير المشكلة العلمية، أو الفروض البحثية، وصياغة الإطار النظري وتفسير النتائج الخاصة بالبحث.

وبمفهوم أكثر اتساعاً من الدراسات السابقة يعرف بوب ماتيوز وليز روس التراث العلمي هو ذلك الكلام المكتوب والمنشور، أي إنه المادة المطبوعة على الورق. ويقصد به، الكتب، والمجلات العلمية، والدوريات، والصحف. وما زالت هذه الأشكال من التراث العلمي تمثل بداية جيدة للتعريف بالموضوع، ولكن أصبح من المحتم علينا أن نضيف إليها شتى أنواع المصادر الإلكترونية، والوسائل السمعية البصرية. وتنقسم عملية المراجعة هذه إلى أربعة خطوات هي:

- 1-قراءات عامة حول الموضوع، بحثاً عن أفكار، ومحاولة التعرف على ما تم إنجازه بالفعل، والإفادة من تلك المعلومات في بلورة موضوع بحثك أنت.
- 2-القيام بعد ذلك ببحث مفصل عن مصادر المعلومات، وتكوين سجل جامع لتلك المعلومات.
- 3-قراءة وتقييم كل ما عثرت عليه من معلومات.
- 4-تصميم مكونات عرض التراث (في بحثك) وكتابتها.

كما يقصد بمراجعة الدراسات السابقة تلخيص أو تجميع لأهم نتائج الدراسات السابقة المرتبطة بمشكلة الدراسة التي يقوم بها الباحث، ولا تقتصر تلك المراجعة على مجرد عملية التجميع فقط، بل لابد للباحث من أن يقوم بدراسة نقدية لما يقرأه، بحيث تتحول عملية المراجعة تلك إلى عملية تأليف تركز على المعرفة القائمة في أحد مجالات الاتصال.

وتشمل الدراسات السابقة كل ما يتعلق بالمشكلة بشكل مباشر أو غير مباشر، أي تلك الدراسات التي استخدمت نفس المتغيرات أو بعض متغيرات الدراسة التي يقوم الباحث بإنجازها، أو الدراسات التي تتناول مشكلة قريبة أو اعتمدت على نفس النظرية وغيرها. وتساهم عملية مراجعة الدراسات السابقة في تحقيق الغايات التالية: تحديد مشكلة البحث بدقة أكبر؛ تضع الدراسة ضمن مسارها التاريخي؛ تساعد على فهم التناقضات الموجودة في مجال بحثي ما؛ تجنب الباحث التكرار غير المقصود وغير الضروري؛ المساعدة على معرفة الأسئلة البحثية وتحديد الفرضيات، أهم التصورات النظرية المستخدمة، كيفية قياس المفاهيم، أهم المناهج وأكثرها استخداما، طرق اختيار العينة وأحجامها، الأساليب الإحصائية الأكثر تداولاً، وكذلك المساعدة على مقارنة النتائج التي يتوصل إليها الباحث مع دراسات أخرى وبالتالي ربط النتائج بالمعرفة القائمة واقتراح بحوث جديدة.

وعند مراجعة الدراسات السابقة يوصي روجر ويمر وجوزيف دومينيك بطرح الأسئلة التالية:

- ما هي أنواع البحوث التي أجريت في هذا الحقل؟
- ماذا تم التوصل إليه في الدراسات السابقة؟
- ما هي الاقتراحات التي قدّمها الباحثون الآخرون للمزيد من الدراسة؟
- ماذا لم يتم بحثه بعد؟
- ما الذي يُمكن أن تضيفه الدراسة المقترحة إلى معرفتنا في هذا الحقل؟
- ما هي طرق البحث التي استخدمت في الدراسات السابقة.

1-2-مصادر الدراسات السابقة

المصادر التمهيدية: ويقصد بها المراجع العامة التي تفهرس أو تلخص المقالات والكتب والرسائل العلمية، ومن أمثلتها: الفهارس التي توجد بالمكتبات؛

- المصادر الأولية: وهي مراجع تحتوي على المقالات الأصلية أو تقارير الدراسات. وتعتبر المجالات العلمية المتخصصة أهم مرجع للمصادر الأولية، ومنها: مجلة الإعلام والمجتمع التي تصدرها جامعة الشهيد حمة لخضر بولاية الوادي الجزائر، مجلة الاتصال والصحافة تصدر عن المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام بالجزائر العاصمة، وغيرها من المجالات المتخصصة الأخرى.

- وهناك العديد من الأراضيات الرقمية التي تحتوي على عدد هائل من المقالات العلمية مثل الأرضية الرقمية للمجلات العلمية الجزائرية (ASJP) والتي تضم مجمل المجالات العلمية التي تصدرها الجمعيات ومراكز البحوث العلمية في الجزائرية،

<https://www.asjp.cerist.dz/>

- وهناك الأرضية الرقمية وطنية للتوثيق العلمي على الخط (SNDL) والذي يعتبر بوابة رقمية تحتوي على العديد من الفهارس التابعة للجامعات الجزائرية، والمقالات العلمية، ورسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه، وكذلك الوصول إلى العديد من مصادر الدراسات العلمية في

[أرضيات رقمية عالمية في تخصصات مختلفة. https://www.sndl.cerist.dz](https://www.sndl.cerist.dz)

- الأرضية الرقمية لمجموعة تايلور وفرانسيس التابعة للشركة العالمية تايلور وفرانسيس مقرها في إنجلترا وهي مهتم بالكتب والمقالات العلمية، تحتوي هذه الأرضية على 59 مجلة علمية في مجال علوم الاتصال، ويمكننا الدخول إلى تلك المجالات والحصول على ملخصاتها بطريقة

سهلة، <https://www.tandfonline.com/>

المصادر الثانوية: وهي المراجع التي تلخص أو تقوّم أو تراجع ما نشر في المصادر الأولية. ومن أمثلة ذلك:

The International Encyclopedia of Communication

Encyclopedia of International Media and Communications

the *Encyclopedia of Media and Communication*

2- منظور البحث أو الخلفية النظرية

يمكننا الاعتماد على النظريات العلمية الجاهزة والتي توفر مجموعة من التفسيرات التي قد تفيدنا في تفسير مشكلة البحث، أو يمكننا القيام ببناء نموذج نظري حسب رؤية الباحث وتصوره لتفسير مشكلة الدراسة.

2-1- نظريات الاتصال

2-1-1- تعريف النظرية: يعرف ريتشارد ويست ولين تورنر (richard west and lynn) (turner) النظرية على أنها نظام تجريدي من المفاهيم والعلاقات فيما بين تلك المفاهيم (فرضيات) والتي تساعدنا على فهم ظاهرة ما. كما يعرفها جوناثان تورنر (Jonathan H. Turner) على أنها عملية تطوير للأفكار التي تسمح لنا بتفسير كيفية وأسباب وقوع الأحداث. ويعرفها أوييه (ouellet) على أنها افتراض أو مجموعة افتراضات مطروحة بقصد تفسير القوانين المعروفة واقتراح تجارب جديدة.

وتنسب النظريات إلى الظواهر، فالنظرية هي عبارة عن بناء مجرد يهدف إلى التفسير والتنبؤ بالعلاقات بين الظواهر، وبناء النظرية هو إذن إجراء يقوم على اختزال سلسلة من الحجج لتبرير الأحداث والظواهر. وهكذا، فتفسير أي ظاهرة يعتمد على النظريات. فالنظرية على هذا النحو هي غذاء المعرفة العلمية، فهي التي تميل إلى توضيح ما يعتبر اعتقاداً. فهي نظام تفسيري يميل نحو

اليقين الذي يأخذ صفة الشرعية، علاوة على أنها تقدم معارف للبحث والملاحظة، وتقوم بتنظيم أحداث وظواهر الواقع. في إطار البحث، تفيد النظرية في رسم مخطط الملاحظة، وفي وضع الأسئلة البحثية أو الفرضيات بهدف الوصول إلى تفسيرات.

ولكن في المقابل، يسمح كل من البحث (الدراسة) والملاحظة بتطوير النظرية. في حقيقة الأمر تسمح نتائج الدراسة بإنشاء النظرية وتوضيحها وإعادة توجيهها. أثناء القيام بالبحث، وفي إطار فحص فرضية أو نظرية يمكن أن يصادف الباحث حدثا طارئا، حيث يتطلب التفسير صياغة فرضية جديدة. بهذا المعنى يؤدي البحث أو الملاحظة إلى إيجاد النظرية. لكي نبرهن على أنّ البحث يعيد توجيه النظرية، ويمكننا القول بأنّ أيّ إسهام تكنولوجي جديد يوجه البحث نحو الميادين التي تطرح مشاكل جديدة يكون تفسيرها متضمنا في النظرية. كما يسمح البحث أيضا بتوضيح النظرية: تفتقد بعض النظريات الدقة في تعريفاتها، والدراسة الإمبريقية تسمح بإعطاء تعريف واضح ومنسجم لمناقشة الملاحظة، وما يجب أنفهّمه هنا هو وجود إسهام متبادل وتفاعلي بين النظرية والبحث.

يمكننا تصنيف نظريات الاتصال كما اقترح ريتشارد ويست ولين تورنر (richard west and lynn turner) بناء على العناصر التالية:

- **مستويات العمومية(الشمولية):** ويشير مستوى العمومية إلى مدى امكانية تطبيق النظرية، وانطلاقا من ذلك نجد هناك نظريات كبيرة (شاملة)، ونظريات متوسطة الشمولية، ونظريات أخرى ضيقة. **النظريات الكبيرة:** هي نظريات تحاول تفسير كل جوانب ظاهرة ما، مثل ظاهرة الاتصال. ومن النظريات الكبيرة في مجال الاتصال نجد نظرية الماركسية، أو نظرية التفاعلات الرمزية (التركيز على كل عملية الاتصال). أما **النظريات متوسطة الشمولية**، فهي نظريات تحاول تفسير أحد جوانب ظاهرة ما، كأن نفسر مثلا سلوكيات الاتصال لجماعة معينة

أو أشخاص معينين بدلا من تفسير سلوكيات كل الناس. ومن النظريات المتوسطة في مجال الاتصال نجد نظرية التقليل من عدم اليقين أو نظرية التفاعل الأولي التي تركز على كيفية تصرف الناس في اللقاء الأولي مع الأشخاص الغرباء عنهم، أو نظرية الخطابة. أما النظريات الضيقة، فهي نظريات تحاول تفسير جانب محدد جدا لظاهرة ما. أي أنها تتعلق بأشخاص محددين ضمن وضعيات محددة جدا. مثلا قواعد الاتصال أثناء استخدام المصعد. ومن النظريات الضيقة في مجال الاتصال نجد نظرية نجد نظرية المنظور.

2-1-2- مكونات النظرية:

تتألف النظريات أساسا من المفاهيم (concepts) والعلاقات (relationships). فالمفاهيم هي تسميات لأهم العناصر في النظرية، مثل مفهوم الذات في نظرية التفاعلات الرمزية، ومفهوم التنافر في نظرية التنافر المعرفي، وغيرها. ويمكن أن تكون المفاهيم في النظرية إسمية: وهي المفاهيم التي لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر؛ أو تكون حقيقية: أي مفاهيم يمكن ملاحظتها بشكل مباشر. أما العلاقات فتعني الطرق التي ترتبط بها مفاهيم النظرية بعضها ببعض. الأهداف: يمكننا فهم النظريات أيضا من خلال معرفة أهدافها، ويمكن أن يكون هدفها هو الفهم أو التفسير أو التنبؤ أو التغيير الاجتماعي.

يقسم ريتشارد ويست ولين تورنر نظريات الاتصال إلى سبعة تصنيفات كبرى هي: نظريات خاصة بالذات والرسائل، وأخرى خاصة بالعلاقات، ونظريات خاصة بالجماعات والتنظيمات، وأخرى خاصة بما هو علني (عمومي)، ونظريات خاصة بوسائل الإعلام، ونظريات خاصة بالثقافة والتنوع. ويصنفها إموري غريفين (Emory Griffin) في كتابه «A first look at communication theory» إلى عشرة تصنيفات هي: الاتصال الذاتي، تطوير العلاقات، صيانة العلاقات، اتصال المجموعات، اتصال التنظيمات، الخطابة العامة، وسائل الإعلام

والثقافة، تأثير وسائل الإعلام، الاتصال فيما بين الثقافات، الجندر والاتصال (Griffin, 2012). ويقسمها حسن عماد مكاوي ولىلى حسين السيد في كتابهما «الاتصال ونظرياته المعاصرة» إلى تسعة تصنيفات هي: نظريات اجتماعية ونفسية مفسرة للاتصال، نظريات بناء الواقع الاجتماعي، نظرية حارس البوابة، نظرية الآثار المحدودة، نظريات التأثير الانتقائي، نظريات التأثير القوي، نظريات التأثير المعتدل، نظريات المعرفة من وسائل الإعلام، النظريات المفسرة للعنف.

2-1-3- أهمية فهم نظريات الاتصال:

- 1- يؤدي فهم نظريات الاتصال إلى إنماء مهارات التفكير النقدي؛
- 2- يساعد فهم نظريات الاتصال على إدراك مدى اتساع وعمق البحث؛
- 3- يساعد فهم نظريات الاتصال على استيعاب تجارب الحياة الشخصية؛
- 4- تعمل نظريات الاتصال على تعزيز الوعي بالذات.

2-2- بناء النماذج النظرية

النموذج هو أيضا عنصر هام في التصور النظري، والنماذج هي عبارة عن بناءات للمنهجية العلمية مثلها مثل النظريات. والنموذج كما يفسره لنا غوتيه وآخرون هو تفسير مبسط لنظام حقيقي. النموذج تمثيل مجرد، مثالي، ورمزي للحقيقة، يعطينا رؤية مبسطة لظاهرة ما. وبالمثل يرى أنول باتشيرجي بأن مصطلح النموذج هو من المصطلحات التي تستخدم في كثير من الأحيان جنبا إلى جنب مع النظرية، فالنموذج هو تمثيل من النظام الذي يتم بناؤه لدراسة جزء أو كل النظام.

إنّ المعنى الواسع والعام للنماذج يشير في الغالب إلى فكرة مجسمات التصميم، التي تمثل مجموعة مركبة من الأبعاد الكبيرة. فوضع مجسم الطائرة، أو بناية شاهقة أو حي في مدينة على طاولة كبيرة يوضح فكرة النموذج. وبالتالي فإنّ النموذج من هذه الزاوية، هو نسخة عن أشياء توجد

حقيقة ولكن بطريقة أكثر تعقيدا. وفي سياق المنهجية العلمية والإطار النظري يكون النموذج رمزيا لأنه يمثل الظواهر بطريقة مجردة. وفي الوقت الذي تفسر فيه النظرية أساسا بمفاهيم وعلاقات، فإن النموذج رغم أنه يمثل أيضا مجموعة من المفاهيم، يُعبر عنه أيضا برسم بياني. فدور النماذج هو التمثيل أما دور النظريات فيتمثل في التفسير.

في علوم الاتصال، تكون النماذج النظرية التي نجدها هنا وهناك في الكتابات عبارة عن تمثيلات مبسطة ووظيفية للعملية الاتصالية. فالنموذج يقوم إذن، بمحاكاة عملية عن طريق عرض العلاقة بين شكل العناصر المكونة لظاهرة ما ومحتوياتها. يصف النموذج "الوظيفة" بتمثيل عملية ما، غير أنه يستطيع كذلك وصف "البناء" بطريقة احصائية وذلك بتقديم العلاقات المتداخلة بين العناصر.

يؤكد غرانجيه (Granger) بأن الفرق بين النظرية والنموذج هو فرق في "الدرجة" وليس في "الطبيعة". في هذا المعنى، تعتبر النظرية نموذجا أكثر اتساعا وأكثر طموحا. وأما النموذج، بمعنى أدق، فهو "محلي" أكثر، بمعنى أن المبادئ والافتراضات التي ينطلق منها تكون أكثر خصوصية، وقابلة للمراجعة بسرعة حسب النتائج التجريبية. غير أن هذا التأكيد يبقى نسبيا، لأن أوييه (ouellet) يشير إلى أن كلمة نموذج تغلبت في الاستعمال على كلمة نظرية عندما نريد دراسة مشكلة ما بصفة شاملة.

ويقسم دانيس ماكويل (Denis Mcquail) وسفان واندال (Sven Windahl) نماذج الاتصال التي يمكن استخدامها في بحوث الاتصال، إلى ثمانية أنواع من النماذج هي: النماذج الأساسية، نماذج التأثير الشخصي والآثار قصيرة الأمد، نماذج آثار الاتصال الجماهيري على المجتمع والثقافة، نماذج مرتكزة على الجمهور، نماذج تنظيمات وسائل الإعلام، نماذج الاتصال المخطط، نماذج الإعلام الجديد ومجتمع المعلومات، نماذج الاتصال الدولي.